

المبتعث السعودي

والذكاء الثقافي



بقلم المبتعث يوسف بن إبراهيم النملة

طالب الدكتوراه في إدارة الموارد البشرية

جامعة مكواري - أستراليا

المبتعث السعودي والذكاء الثقافي



بقلم المبتعث يوسف بن إبراهيم النملة

طالب الدكتوراه في إدارة الموارد البشرية

جامعة مكواري - أستراليا

ح يوسف إبراهيم النملة ، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة، يوسف إبراهيم

المبتعث السعودي والذكاء الثقافي. / يوسف إبراهيم النملة -

الرياض ، ١٤٢٣هـ

٤٤ ص ، ١٦×١١ سم

ردمك: ٧-٩٩٠٤-٩٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- البعثات الدراسية ٢- الطلاب السعوديون - بعثات أ. العنوان

١٤٢٣/٤٠٠٦

ديوي ٣٧٨،٣٥

رقم الإيداع: ١٤٢٣/٤٠٠٦

ردمك: ٧-٩٩٠٤-٩٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

٢٠١٢/١٤٣٣





مقدمة

هنا خمس وقفات مهمة سيتعلم المبتعث منها - بإذن الله تعالى- أهم الفروق الثقافية بين الشرق والغرب، والتي بدورها قد تؤثر على مسيرته التحصيلية، كل ذلك استناداً إلى أهم النظريات العلمية في هذا المجال مع ربطها بواقع المبتعثين.

هذه هي الطبعة الثانية والمعدلة لكتيب:

المبتعث السعودي والذكاء الثقافي، الذي كتبته للمبتعثين، ولكل من أراد أن يدرس في الخارج، خصوصاً في بيئة غريبة. كنت قد كتبت النسخة الأولى من هذا الكتيب عام ١٤٣٢- ٢٠١١ ثم وضعتها كتطبيق على متجر أبل بتصميم متواضع، ورغم ذلك فقد تجاوز عدد التحميل لها أكثر من عشرين ألف تحميل، وهو أمر مفاجئ لي بلا شك. عندها عقدت العزم على إظهاره بصورة أفضل، وبألوان وإخراج أجمل وأحسن

وهاهي النسخة الثانية من المبتعث السعودي والذكاء الثقافي،
مع اعتذاري الشديد عن التأخير الذي كان سببه الانشغال
بالدراسة والبحث.

أسأل الله التوفيق.

وإن نسيت فلن أنسى شكر الصديق سالم الجعدي الذي
تولّى العمل على هذه الطبعة بكل ود وصدق.
اللهم وفقنا للعلم النافع والعمل الصالح.

يوسف النملة

أستراليا

الوقفات الخمس

< الوقفة الأولى ٩ - ١٨ >

مفاهيم أساسية

< الوقفة الثانية ١٩ - ٢٤ >

احترازات

< الوقفة الثالثة ٢٥ - ٣٠ >

استطلاع سريع

< الوقفة الرابعة ٣١ - ٣٦ >

فروق ثقافية في الاتصال

< الوقفة الخامسة ٣٧ - ٤٣ >

إشارات سريعة ومراجع مهمة





مفاهيم أساسية

في عام ١٩٥٢ كتب Kluckhoh بحثاً حول الثقافات، وتطرق لقضية تعريف الثقافة. توصل Kluckhoh في بحثه ذلك إلى أن هناك ١٦٠ تعريفاً للثقافة! وهذا ما يجعل الإجابة على سؤال: ما هي الثقافة؟ من الصعوبة بمكان.

قضية الثقافة وتعريفها باعتبارها أسلوب حياة أو نمط عيش أو طريقة تفكير أو غير ذلك.. كل ذلك لا ينفع كثيراً بقدر ما ينفع تحديد الثقافة من حيث المقصود بها في موضوع محدد..

الثقافة المقصودة في هذا الكُتيب هي أسلوب الحياة.. فمثلاً ثقافة أو أسلوب الحياة في الغرب -كما هو الشائع- انفرادي بمعنى: أن كل شخص يتحمل مسؤولية ذاته، وفي الوقت نفسه

لا يتدخل الآخرون فيها.. بينما ثقافة وأسلوب الحياة في الشرق مثل المملكة العربية السعودية هو: اجتماعي، بمعنى أن الفرد يعيش مع غيره، ويفكر مع غيره بل و لغيره مثل عائلته حق التدخل في حياته..

وحتى نفهم العلاقة بين الثقافة والذكاء فمن المهم أن ندرك أن هناك أنواعاً متعددة للذكاء: كالذكاء الاجتماعي، والأخلاقي، واللغوي.. ومن تلك الأنواع بطبيعة الحال: الذكاء الثقافي الذي بدأه بعض الكتاب مثل Earley عام ٢٠٠٢ ثم أصبح نظرية تناولها الكثير مابين مؤلف لكتاب، ومخرج لورقة علمية، وناشر لمقال صغير على صفحات النت.. ولعل من أمتع ما كُتِبَ في هذا ما كتبه Peterson عام ٢٠٠٢ بعنوان:

Cultural intelligence. A guide to work with
people from other Cultures

(الذكاء الثقافي.. مرشد للعمل مع أشخاص من ثقافات أخرى)

المقصود بنظرية الذكاء الثقافي باختصار: هو القدرة على العيش مع الثقافات المختلفة عن الثقافة الأصلية، وذلك من خلال فهم السياقات الجديدة، والتكيف معها بعد ذلك. وهذا يمكن أن يكون من خلال ثلاث وسائل:

الأولى: فهم الثقافة الجديدة فهمًا جيدًا كما هي..
وليس كما نريد.

الثانية: برهنة ذلك الفهم من خلال التصرفات التي
توحي بأنك ضمن الثقافة الجديدة ولست بمعزل عنها.

الثالثة: التغلب على الفروق والعوائق بين الثقافتين
(الثقافة الأصلية والثقافة الجديدة) قدر المستطاع.

الأسطر التالية ستكون محاولة لشرح نظرية الذكاء الثقافي
ومدى حاجة كل مبعث سعودي لها.. خصوصًا من يدرس في
بيئة أو ثقافة غريبة..

إن محاولة الوصول إلى مهارة ذاتية تفسّر ما لا عهد
للشخص به هي من أصعب المهارات الشخصية.. ولكن
نظرية الذكاء الثقافي، واستخدامها حال البعثة يسهل الأمر
بلا شك، إذ إن من أهم فوائد هذه النظرية على حد تعبير
عالم النفس Daniel Goleman هو: "الميل إلى تعليق إصدار
الحكم بما يتيح الوقت للتفكير قبل الإقدام على الفعل".

إن كل شخص لديه أو يحاول الحصول على قدر كبير

من الذكاء الثقافي سيجد نفسه متفهمةً لكثير من الحوادث والتصرفات الجديدة عليه.. مهما كانت غرابتها؛ لأنه سيفهمها من خلال سياقاتها.

يجب أن يدرك كل المبتعثين أنهم مقبلون على ثقافة جديدة، يعيشونها ويعيشون واقعها بالتفصيل، ويتواصلون مع أهلها الذين ينتظرون من المبتعث أن يعيش كما يعيشون، وألا يأتي بغرائب تبني الحواجز بينه وبينهم، إذا أدرك المبتعث أن ثمة ثقافة جديدة تنتظره فالموقف المحمود له هو أن يفهم هذه الثقافة، ويقترّب منها بقدر ما يستطيع بحيث يكون واحداً من أتباعها في الظاهر.. وبطبيعة الحال.. كل هذا بما لا يخدش ثوابته الدينية، والتي هي بلا شك أهم من محاولة التعايش وتلبّس الثقافة الجديدة.

حين ينجح المبتعث في فهم هذا ويتخطى المرحلة الأولى في إقناع نفسه بضرورة تبني هذه الثقافة الجديدة ولو مؤقتاً فهنا ستأتي المرحلة الثانية، وهي أن ينتقي من هذه الثقافة الجديدة ما يفيد ويخدم غرضه الأساس، وهو الدراسة وتحصيل العلم المفيد.

من ذلك معرفة الفروق الثقافية العلمية بين الشرقيين

والغربيين، فليس المنهج واحداً.. بل هما منهجان بينهما تباين لا يدركه في الغالب إلا من درس وبحث وتعلم في كلا الثقافتين، فمثلاً: من أهم الفروق التي يجب أن يدركها المبتعث هو أن طريقة التفكير في الأساس مختلفة إلى حد ما بين الشرقيين والغربيين، وحتى يتضح المقصود فإنني أقول: أن الشرقيين ومنهم السعوديون يفكرون بطريقة شمولية تؤثر فيها العوامل المحيطة، بينما الغربيون يفكرون بطريقة مركزة مفصولة عن المؤثرات المحيطة بها.. فمثلاً: لو كان لدينا طالبان: الأول سعودي، والثاني بريطاني وأعطيناهما قطعة خشب صغيرة لونها أسود، وفي أطرافها نقاط صغيرة بالأبيض والأحمر، فمن المتوقع حين نسأل الطالب البريطاني عن لون هذه القطعة الخشبية فإنه سيقول: سوداء وفي قرارة نفسه أنها سوداء دون أي تردد؛ لأنه ركز على الأعم الغالب في القطعة وهو اللون الأسود، لكن في المقابل قد يقول السعودي إنها سوداء ومنقطعة بالأبيض والأحمر، أو يقول سوداء فقط، ويسكت لكن في قرارة نفسه أنها سوداء مع ألوان أخرى. لذلك قال بعض المختصين: إن الغربي يرى والشرقي يتصور.. والتصور معنى أشمل من مجرد الرؤية.

تنزيلاً لهذه النظرية على واقع التعليم في بلد الدراسة فإنني

أقول: لا بد للطلاب السعودي المبتعث من أن يجعل كتابته للبحوث وإجاباته للأسئلة في الامتحان من منطلق الرؤية لا من منطلق التصور، وإلا فإن درجته ستتأثر؛ لأنه لم يساير أستاذه الغربي في طريقة تفكيره، بمعنى آخر: يجب على الطالب السعودي أن يجيب على السؤال مباشرة وألا يكتب أي شيء ليس له علاقة مباشرة بالجواب، فلو سُئل الطالب مثلاً في الاختبار النهائي في مادة الإدارة السؤال التالي:

هل تؤيد مكافأة الموظف بالمال أم لا؟

فالجواب لا بد أن يبدأ بـ (نعم) ثم يذكر المبررات أو (لا) ثم يذكر المبررات حسب رأيه الخاص، لا أن يبدأ الطالب بتنظير المسألة وذكر تعريف المكافأة المالية وغير المالية، وأمثلة لذلك وو.. ثم يقول: نعم أؤيد مكافأة الموظف، فإن كل ماسبق الجواب المباشر ليس محسوباً من الجواب، فكل التعريفات والأمثلة والشروح التي لم يجب فيها الطالب إجابة مباشرة على السؤال كلها حشو ليس له أي قيمة في المنهج الغربي.. نعم قد يكون لامس الجواب من بعيد لكنه لم يجب عليه الإجابة المباشرة المطلوبة.

مرة أخرى.. الجواب في المنهج الغربي لا بد أن يكون مركزاً تماشياً مع مبدأ الرؤية المركزة للأشياء.. لا عاماً ومنطلقاً من مبدأ التصور الشمولي.

يتبع ذلك كيف يقرأ الشرقي؟ وكيف يقرأ الغربي حال البحث أو الدراسة؟.. فالغرب يقرأون بتركيز شديد ويبحثون حال القراءة البحثية عن نقطة واحدة فقط، ولا يبالون في الغالب بما فاتهم من معلومات قد تكون مفيدة لكنها ليست ذات علاقة بموضوع البحث.. لذلك تجد أن مهارات القراءة السريعة لديهم منتشرة، والدورات التدريبية فيها كثيرة؛ لأنها جزء من ثقافتهم وضرورة تعليمية وليست مهارة زائدة.

هذا أيضاً ربما يفسر عدم الاهتمام الكبير بعلم التأريخ في الغرب كاهتمام الشرقيين به؛ لأنه لا يؤثر في كثير من العلوم التي يشتغلون بها، وكذلك تفكير الغرب العلمي المركز يفسر انتشار الأوراق البحثية أو ما يسمى بـ Journal Articles .. واعتمادهم عليها أكثر من الكتب التي يعتمد عليها الشرقيون أو العرب.. والسبب في ذلك هو أن هذه الأوراق البحثية في الغالب تكون مركزة وتقدم المعلومة والنتيجة مباشرة بعيداً عن الأمور أو الأشياء ذات العلاقة غير المباشرة لنقطة

البحث حتى وإن كانت من العلم نفسه.. وأيضاً لأن الكتاب يأخذ وقتاً أطول في إعداده..

يحتاج أن يدرك المبتعث أيضاً موضوع البُعد الثقافي اللغوي..

إن تأثير الاختلاف الثقافي ينعكس بصورة واضحة على اللغة واستخدامها في توصيل المعلومة، فقد يُدرك المبتعث ما سبق، وهو أن تعامله مع أستاذه الغربي في حقل التعلم لا بد أن يكون مركزاً.. لكن المشكلة تقع أحياناً حين يكتب الطالب بحثاً ما وينقل معه ثقافته العربية، وربما كتب اللغة الإنجليزية باللغة العربية..!! أي بطريقة تفكير عربية.

أذكر أن أحد الطلاب المبتعثين في أمريكا كتب بحثاً ينتقد فيه أحد البحوث العلمية فكان مما قال إن هذا البحث العلمي كتب مثل (سَلَق البيض) eggs poaching.. يقصد أنه كتب بطريقة سريعة ففات الكاتب التحقيق المطلوب في مثل هذه البحوث العلمية.. ولكن بعد أن قرأ أستاذه الأمريكي هذه الفكرة النقدية أعاد البحث له وقال: لم أفهم ما تقصد! نعم لم يفهم ما قصده ذلك الطالب السعودي؛ لأنه إضافة إلى عامية هذا الاستخدام.. فقد أدخل هذا السياق الثقافي

السعودي في اللغة الإنجليزية فجاء الخل، وحينما شرح الطالب ماذا يقصده نهره الأستاذ وقال له: لا تستخدم هذه المصطلحات الموهمة مرة أخرى !!

ختاماً أقول: حتى يتفوق المبتعثون والمبتعثات في بلد يحمل ثقافة غير ثقافتهم، فإن إدراك تلك الثقافة الجديدة عليهم وفهمها يسهل الكثير من العقبات، ويجعل المبتعث يبدأ الطريق وينتهي منه -إن شاء الله- وهو على وضوح وفهم وإدراك لما ينتظر منه.





احترازات

أهلاً بك مرة أخرى في الذكاء الثقافي..

هناك بعض الأمور التي لا بد من ذكرها، لأنها يمكن أن تكون استثناءات أو احترازات لما تم ذكره في الوقفة السابقة.

من الضروري أن يقال إن ممارسة الذكاء الثقافي وتطبيقه أمر مفيد في كثير من الأحيان، وهو يساعد المبتعث بلا شك على المشاركة والتفاعل مع الثقافات الأخرى، وعدم الانعزال الذي ربما حرمه بعض الأمور الضرورية.. لكن يجب أن يكون كل ذلك باعتدال وتوازن حتى لا يؤثر هذا على مبادئ المبتعث؛ لأن الإفراط في ممارسة الذكاء الثقافي -خصوصاً المتدني منه- يمكن أن يتحول إلى نقطة ضعف ملازمة تقلل من قيمة الشخص أمام الآخرين.

إن احترام الآخرين، والتفاعل معهم، والاهتمام بلغة وثقافة البلد الذي يدرس فيه المبتعث، أمور ضرورية كما أسلفت، لكن يجب أن يبتعد المبتعث عن تسفيل نفسه، والاستمرار في تنقص بلاده التي أنعمت عليه بالبعثة، وغير ذلك من التصرفات التي يفهم منها الطرف الآخر أن المتحدث أو المبتعث ليس لديه ما يُفاخر به، كل هذه تصرفات ممقوتة بلا شك.

أذكر أن إحدى الأخوات المبتعثات تقول: "لو رفضت مصافحة رجلاً أميركياً لا يعرف الإسلام فهذا يعني أنني أقدم له انطباعاً أولياً سيئاً عن ديني، ولهذا لا بد من التنازل حفاظاً على صورة الإسلام، أما أخي المسلم فأنا أفترض فيه أنه يعرف تعاليم ديني ودينه، ولن أرحم مشاعره إذا ما رفضت مصافحته لأسباب دينية".

واضح من كلام هذه الأخت الفاضلة أن الحل الوحيد لديها هو التنازل عن بعض المبادئ، فهي وبلا شك تحترم مبدأ عدم مصافحة الأجانب أو غير المحارم لأسباب دينية، لكن ما ذا لو قالت هذه الأخت: إنني سأفكر في حلول أخرى مثل: عدم الاقتراب من الأمريكي أثناء التحدث، أو على الأقل إخباره

بعد المصافحة أنها صافحته احتراماً له، لكنها تعتذر عن مصافحته في المستقبل إن كان هذا الشخص ممن تلتقي به باستمرار، كأستاذ المادة أو الزميل في الفصل الدراسي، في الحقيقة الذي يُفهم من كلام الأخت -وفقها الله- هو أنها تريد أن تلعب على وتر اختلاف الثقافات، وتجعله مدخلاً لاحترام الآخرين لها، هذا جميل، ولكن ليس على حساب الثقافة الأصلية.

مظهر مناقض لموقف الأخت في التنازل عن بعض الأمور في الثقافة الأصلية، وهو أن بعض الناس -ومنهم المبتعثون- ينتقلون للعيش في بيئة وثقافة أخرى مختلفة عن ثقافته في المملكة العربية السعودية، لكنه ينقل معه تقريباً كل مكونات الثقافة السعودية؛ لأنه لا يستطيع العيش بعيداً عنها، وهذا بلا شك سيؤثر على تحصيله اللغوي والثقافي.

شاهدت بعض المبتعثين وقد أحضر معه القهوة، والفناجيل، والبيالات، ورز أبو كاس، والشيشة، والجلسة العربية الكاملة، ثم اشترى رسيماً فيه أغلب القنوات العربية، ويقرأ أربع أو خمس صحف سعودية يومية كل يوم من خلال النت، ثم بعد مرور السنتين أو الثلاث يشتهي من ضعف لغته الإنجليزية

وربما مكث في دراستها دهرًا، ولو فنّش هذا الأخ عن تكيّفه الثقافي الذي هو مؤثر على لغته لأدرك مكمّن الخل؛ لأنه لا يمكن دراسة اللغة بمعزل عن ثقافتها.

كيف حال هذا الأخ لو غير شيئًا من عاداته، فاشترك في النادي الرياضي في الحي الذي يسكن فيه، وصنع من خلاله صداقات بريئة، كيف حاله لو دعا جيرانه في أحد أيام عطلة الأسبوع لحفلة شاي لمدة نصف ساعة، ثم من خلال ذلك تعرف أكثر على ثقافتهم؟ كيف به لو غير شيئًا من عاداته في الأكل، وبدأ يذهب للسوبر ماركت، ويشتري ما يشتريه أهل بلده من الطعام أو الشراب الحلال، وحاول فعل ما يفعلون؟.. كيف به لو عاهد نفسه على متابعة الجرائد المحلية التي تتكلم عن البلد التي يعيش فيها، ليعرف ما يدور حوله؟ كيف لو حاول أن يعلم نفسه ويتقّفها في أشياء ليست موجودة في بلده، مثل الانتخابات، وطريقة عمل النقابات؟ كيف به، وكيف بها لو عملا ذلك؟ هل سيشتكيان من ضعف لغتهما فيما بعد؟

مما يحزن في بلد الابتعاث أيضًا أنك تجد بعض الإخوة يلتزمون لبس الثوب السعودي حال التسوق كما شاهدت بعضهم في أشهر الأسواق في سيدني أو ربما حال الدراسة

في الجامعة كما سمعت عن آخرين، ولو تحدثت مع ذلك الشخص وبيّنت له أن هذا خطأ ثقافي، وربما جر عليه المشاكل لقال: ألا تنظر إلى نساء الهنود مثلاً لا يتركون لبس الساري في أي مكان كانوا !! لا بد أن نعتز بثقافتنا.

إن الرد الجميل على مثل هؤلاء أن يقال لهم: هذا الكلام صحيح نسبياً، لكنه مقبول في حق النساء أكثر من الرجال، وأيضاً فأنت بفعلك هذا ربما بنيت الحواجز بينك وبين عامة الناس؛ لأنهم سينظرون إليك على أنك مختلف، وثالثاً يقال لهذا الأخ الفاضل: ربما يُقبل من بعض الثقافات ما لا يُقبل من غيرها، فمع الأسف الشديد ارتبط لبس الثوب في كثير من البلدان الغربية بصورة المسلم المتعصب لدينه، وربما ظنوا بك أبعد من ذلك، و لا أنسى أحد الشباب المبتعثين حين خرج إلى أحد الشوارع في مدينة سيدني بثوبه السعودي الأبيض، وأخذ يتردد ذاهباً وآيئاً في أحد الشوارع ويكلم بهاتفه الجوال، فما كان منه إلا أن شاهد رجال الشرطة يركضون باتجاهه، ثم أفاق ووجه على الأرض ويداه مكتفتان على ظهره، ورجال الشرطة يطلبون منه عدم الحركة، وفي نفس الوقت يفتشون فيه كل مكان.. من المألوم في هذه الحادثة؟ هل هم رجال الشرطة الذين لا يفهمون الثقافات

الأخرى؟ ربما سيأتي من يقول هذا..

أخيراً.. أحب أن أقول: إن هناك قواسم مشتركة بين البشر مهما اختلفت أجناسهم وثقافتهم.. منها على سبيل المثال التزام الصدق في كل الأحوال، والوفاء بالوعد، والحرص على الابتسامة، والكرم، وبذل المعروف، وتقديم الهدية، وأيضاً عدم التدخل في الخصوصيات أو السؤال عنها.. وغيرها من المعان الجميلة التي لو حرصنا عليها كيمتعتين فسنرسم صورة جميلة عن ذواتنا وعن ديننا وكذلك عن بلدنا الحبيب..



استطلاع سريع

أجريت استطلاعاً سريعاً حول الطلاب المبتعثين، والاختلاف الثقافي الذي ربما واجهوه في بلد الابتعاث..

نتيجة هذا الاستطلاع كانت شبه مفاجئة بالنسبة لي؛ لأنني توقعت أن غالب المبتعثين السعوديين أو كلهم واجهوا مشاكل ثقافية بسبب الاختلاف الكبير بين ثقافة محافظة كتقافة المملكة العربية السعودية، وبين ثقافات منفتحة كثقافات المجتمعات الغربية.

عينة البحث شملت ٢٨ مبتعثاً من أربع دول ٢٦ من أستراليا وسبعة من بريطانيا وثلاثة من أمريكا واثنين من كندا.

قبل الخوض في تحليل النتيجة أعترف بأن هذه الدراسة أجريت بجهد شخصي سريع وبعيد عن الإطار الأكاديمي..

وهذا الاستطلاع بالمناسبة يمكن أن يكون نواة لبحث موسع
كبحث ماجستير أو دكتوراه أو غيرهما لمن أراد ذلك.

في الجواب على سؤال الاستطلاع وهو: ما إذا كان المبتعث
قد واجه مشكلة ثقافية في بلد الابتعاث مثل: طريقة التعامل
مع الآخرين، أو طريقة الدراسة الغربية، أو التكيف مع نمط
الحياة الغربية، وغيرها أجاب قرابة ٥٨ بالمئة بـ (لا)، أي
أنهم لم يواجهوا أي مشاكل ثقافية في بلد الابتعاث، وهذه
نسبة مرتفعة في نظري، وهو أمر يسر خاطر والحمد لله.

٤٢ بالمئة من المبتعثين في هذه الدول الأربع واجهوا مشاكل
ثقافية يمكن مناقشتها في الأسطر التالية:

**تدور أهم الاختلافات الثقافية التي واجهتها هذه
العينة على أربعة محاور وهي: طريقة التعامل مع الآخر،
وفهم أسلوب التعليم والدراسة، والثالث قضية اللغة، أما
الرابع والأخير والطريف فهو اتهام أصحاب البلد نفسه بعدم
فهم ثقافتنا كسعوديين!**

حول التعامل مع الآخر يُقر أحد المبتعثين على حد تعبيره
بـ "صعوبة التفاهم والتعامل مع الطلاب الأجانب، وقد يكون
السبب هو عدم القدرة على التواصل بالشكل المناسب".

مبتعث آخر ركّز على صعوبة التعامل مع الأطفال، خصوصاً لأنه وجده موضوعاً حساساً جداً في الثقافة الغربية.

التعامل مع المرأة شكّل أيضاً أحد الأسباب البارزة في التردد فترة من الزمن في تهيئة النفس على ذلك؛ لأن المبتعث السعودي ربما خرج من بيئة ذكورية بحثة فتفاجأ بأن المرأة في الغرب تعمل في كل مكان تقريباً.

حول الاندماج مع المجتمع الغربي يُصرّح بعض المبتعثين الذين يعملون في بلد الابتعاث أن لديهم مشكلة كبيرة في ذلك فيقول أحدهم: "لدي شعور بالعزلة لعدم القدرة على المشاركة في الأنشطة الاجتماعية التي تقام دورياً -خارج العمل- للعاملين معي في نفس القسم لوجود اختلاف ديني، وذلك لوجود الخمر في جميع الاجتماعات التي تقام أساساً لتقوية الروابط الاجتماعية للموظفين".

وللعاطفة مجالها في اختلاف التعامل بين الثقافات المختلفة، حيث يرى بعض من واجه مشكلة الاختلاف الثقافي أن المجتمع الغربي وخصوصاً الإنجليزي (يميل إلى التعامل وفقاً للمنطق لا للعاطفة) وهو أمر فيه صعوبة عند التعامل مع الشخص الإنجليزي، فالعربي بطبعه يعطي أهمية للجانب

العاطفي في تعاملاته، وقليلًا من المنطق لاسيما إذا تعارضاً".
 هذه أبرز الفروق الثقافية التي واجهها بعض المبتعثين من
 حيث طريقة التعامل مع الآخر، أو مع سكان بلد الابتعاث.
 أسلوب التعليم والدراسة كانا أيضًا هاجسًا لبعض
 المبتعثين.

اختلاف ثقافة التعليم، وما الواجب على الطالب فعله،
 وعلاقة الأستاذ بالطالب وخصوصًا في مرحلة تعلم اللغة،
 وعدم قدرة بعض الطلبة السعوديين على البحث والتعلم
 الذاتي، اللذين يفترضهما أسلوب التعليم الغربي، وعدم
 القدرة أحيانًا لدى الطالب المبتعث من الانتقال من أسلوب
 الحفظ على حد تعبير بعض المبتعثين إلى أسلوب البحث
 والنقد والتحليل، كلها كانت مشاكل حاضرة في أذهان بعض
 الطلبة المبتعثين.

مما يتكرر طرحه من كثير من الطلبة المبتعثين هو: اتهام
 الجامعات ومعاهد اللغة باستغلال المبتعث السعودي ماديًا
 حتى أن بعض الطلبة المبتعثين اتهم معاهد اللغة دون استثناء
 بـ "الجشع المادي وتقديم المصلحة المالية على حساب الأمانة
 والمصداقية".

بعض الإخوة المبتعثين يفترض في أهل البلد المبتعث إليه أن يفهموا ثقافته كسعودي وإلا فهم مخطئون!! إلقاء اللوم على أهل بلد الابتعاث جاء من ضمن المشاكل الثقافية التي واجهها بعض المبتعثين، فبعض المبتعثين يعيب عليهم عدم تفهمهم للنقاب وأهميته في ثقافة السعوديين، ولكن البعض ذهب لأبعد من ذلك وعاب على بعض المجتمعات الغربية عدم فهم لبس الثوب بالنسبة لنا كسعوديين، وكأن هذا الأخ الكريم يريد أن ينقل ثقافته بجزئياتها إلى بلد الابتعاث ثم يريد منهم أن يفهموا ذلك، وهذا بلا شك قصور كبير في الوعي الثقافي لدى بعض المبتعثين.

اللغة الإنجليزية هي واجهة الثقافة الغربية، وبعيداً عن الخوض في جزئيات هذا الموضوع أريد أن أشير إلى أن بعض المبتعثين كان يظن أن اللغة الإنجليزية واحدة في العالم كله، فكثير من السعوديين درس اللغة الإنجليزية الأمريكية في المملكة العربية السعودية ثم بدأ الدراسة -مثلاً- في أستراليا فوجد لغة إنجليزية أخرى تحمل في طياتها كثيراً من الاختلافات عما درسه في اللغة الإنجليزية الأمريكية.

كثير من المفردات الإنجليزية الأمريكية لا يستخدمها

الأستراليون، بل إن لدى بعض الشعب الأسترالي نفورًا ثقافيًا من اللغة والثقافة الأمريكية، فلا يرغبون استخدام الإنجليزية الأمريكية مكان الإنجليزية الأسترالية في أستراليا في الغالب.

عودًا على بدء فأني أقول: كون عدد المبتعثين الذين لم يواجهوا مشاكل ثقافية أكثر من الذين واجهوها يعتبر بشارة طيبة لمستقبل أفضل للابتعاث - بإذن الله تعالى-؛ لأن المشاهد والمعلوم أن المبتعثين في الأزمان السابقة كانوا يواجهون مشاكل ثقافية كثيرة جدًا.

وزارة التعليم العالي مشكورة قدمت مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برامج متميزة لسد الهوة الثقافية لدى بعض المبتعثين والمؤمل أن يستمر ذلك بل ويتطور.



فروق ثقافية في الاتصال

أيها الأحبة الكرام.. في هذه الوقفة سيكون الحديث -إن شاء الله- مركّزًا حول التواصل والاتصال، وأهم الفروق في ذلك بين الشرقيين والغربيين.

وسيكون الحديث هنا حول أمرين اثنين:

الأول: تلخيص لنظرية مهمة في التواصل بين الثقافات المختلفة وهي نظرية Hall، والتي تفسّر الاختلاف الواضح بين وسائل الاتصال بين البشر بسبب اختلاف ثقافتهم.. وسنتناول ما يهم المبتعث من هذه النظرية وهو الفروق في الاتصال بين الرجل الشرقي والرجل الغربي.

الثاني: هو ملخص ورشة عمل حضرتها لمدة يوم كامل تحدثت فيها المدربة عن موضوعات كثيرة في الذكاء الثقافي ومنها موضوع الاتصال.

فلنبداً على بركة الله تعالى بالأمر الأول:

Edward Hall المتوفى عام ٢٠٠٩ في الولايات المتحدة أسس لنظرية مهمة في الاتصال وهي ما تسمى بـ High Context Culture وهي نظرية قسّمت الناس إلى قسمين: القسم الأول: هم أصحاب السياق المرتفع (High Context) وهم الشرقيون والآسيويون ونحوهم، والآخرون هم أصحاب السياق المنخفض (Low Context) وهم الأوروبيون ونحوهم، ويدخل فيهم الأنجلوساكسون، وهنا أهم الفروق بين هذين السياقين وتأثير ذلك على طريقة التواصل.

أصحاب السياق المرتفع -ومنهم العرب- يكون التواصل لديهم أحياناً غير واضح بالدرجة الكافية، كما عند الثقافات ذات السياق المنخفض، فتجد كلام الشرقي مثلاً منطوياً على معان يقصدها لكنه لم يتلفظ بها، وهذا يعتبر امتداداً لتأثير الثقافة الاجتماعية الشرقية حيث أن الشرق مجتمع اجتماعي ربما اختصر بعض الحديث المنطوق؛ لأنه يفترض أن يكون معروفاً لدى المخاطب بسبب تقارب أفراد المجتمع بعضهم من بعض، ومعرفتهم سلفاً ببعض القضايا المشتركة بينهم.

في حين أن الغربيين أصحاب السياق المنخفض وبسبب

ثقافتهم الانفرادية الانعزالية تجدهم يحتاجون إلى كلام أكثر صراحة وأكثر وضوحًا، وفي الغالب يكون الحديث قصيرًا ولغرض محدد. حول هذه القضية، ربما تسمع بعض المبتعثين يشتكى ويقول: إنني حاولت جاهدًا أن أتخاطب وأتحدث مع الناس في الشارع أو في القطار ولكنني أفاجأ بإجابات مختصرة من الغربيين (البعض) في غالب الأحيان، والتي لا تفيدني في تطوير لغتي الإنجليزية. وتفسير هذا يكون بالرجوع لنظرية الاتصال السابقة، وهي: أن ثقافة الغرب في الاتصال هي ثقافة السياق المنخفض الذي يتواصل أصحابه بشكل سريع ومختصر ومركز.

وأحب أن أنبه هنا إلى أن هذا التنظير لا يشمل بطبيعة الحال كلام السياسيين الغربيين الذين يستخدمون أسلوب التشبث في حديثهم كغالب سياسيي العالم.

فإذا أردت أن تتحدث مع شخص ما من أصحاب السياق المنخفض لتطور لغتك فانتبه لهذه القضية، واستعد لها وحاول أن تخلق محادثة طويلة بينكما من خلال ترتيب بعض الأسئلة مسبقًا، وأيضًا من خلال سؤال الطرف الآخر أسئلة مفتوحة تحتاج إلى شرح وتوضيح، ولا تكون من الأسئلة المغلقة التي تكون إجاباتها فقط ب (نعم) أو (لا) وبهذا تستطيع التحاور

والتعلم من الشخص الذي تحاوره.

الأمر الآخر:

حضرت برنامجاً تدريباً مكثفاً في تنمية مهارة الذكاء الثقافي فخرجت بفوائد كثيرة حول أهم الفروق في الاتصال بين الإنسان الغربي والشرقي، وفي الأسطر التالية بعض الفروق المهمة بين الغربيين والشرقيين (ومن الشرقيين السعوديون).

حين الحديث تجد أن الغربي لديه كامل التركيز حول المحادثة أو موضوع النقاش وفي نفس الوقت يهتم بالدرجة الأولى بسمعته، والاحترام الشخصي الذي يحب أن يُعرف به. وفي حين تجزأ الموضوع مجال الحديث إلى أجزاء مهمة فإن ثقافة الغربي لا تسمح له بتفكير شمولي حول جميع الأجزاء في وقت واحد، بل يفضل أن يتناولها واحدة تلو الأخرى مع تركيز شديد على كل جزء بعينه. في الغالب حين يتحدث الغربي مع غيره فإنه يكون حذراً جداً -كما قلت- ويراقب كلماته وحركاته حتى لا يصدر منه أي أمر يحسب عليه. في حين أن الشرقي حين يحدث غيره ربما فكر في أمور أخرى غير موضوع المحادثة أثناء المحادثة ولو بشكل سريع حتى لا ينتبه له الطرف الآخر، وفي نفس الوقت يختلف عن الغربي

في الحذر الشديد من الوقوع في الغلط في المحادثة، فتجد الشرقي أكثر عفوية، وربما سأل الطرف المقابل له عن صحة بعض الأسماء التي قالها؛ لأن منهج الشرقي الثقافي تفاعلي مع الطرف الآخر بينما منهج الغربي هو الاعتماد على الذات. كذلك الشرقي ربما وسّع موضوع الحديث قاصداً مثلاً الحديث عن أسباب مشكلة ما، أو أثارها مما قد يشتم الشخص الذي أمامه إن كان غريباً.

من الفروق أيضاً فرق يتعلق بطريقة الحديث وسرعته.. فمن المعلوم أن الغربي يتحدث بسرعة، ويبدأ من النقطة أو النتيجة التي هي مقصوده في الحديث، حيث إن الغالب على الغرب -في نظري- هو النمط الصوري وهو ما يكون صاحبه بصرياً يرى الفكرة مرسومة أمامه، ويريد أن يصل إليها في أقصر وقت. أيضاً فإن التحول إلى حيز التنفيذ هو المتبادر إلى ذهن الغربي بعد تلقي الأوامر أو الاتفاق على أمر ما. في حال أن ثقافة الشرقي تسمح له بأن يتحدث ببطء أو بشكل متوسط، وأيضاً الشرقي عادة ما يبدأ حديثه بمقدمات ربما تطول ثم يصل إلى النتيجة.

هذه الفروق جديرة بالاهتمام حين نتعامل مع الغربي في الجامعة أو الفصل الدراسي أو الاجتماعات أو غيرها.





إشارات سريعة ومراجع مهمة

هنا نختم هذه الوقفات بأمرين مهمين: الأول ضرورة التميز، والثاني إشارات سريعة لتعزيز الذكاء الثقافي لديك كمبتعث.

أولاً: لا بد أن ندرك أن المتميز محترم ومبجل في جميع الثقافات.

لما كنت أدرس الماجستير في جامعة سيدني للتكنولوجيا، كانت الدكتوراة في إحدى المحاضرات تسأل أسئلة دقيقة ومركزة حول قضايا معينة، وكانت تتوقع من الطلاب عدم الإجابة، وإنما سألت تلك الأسئلة كمدخل للموضوع، لكنها تفاجأت بزميلة لنا من الكويت تجيب على الأسئلة واحداً واحداً في حيرة من باقي الطلاب، وحيرة من الدكتوراة أيضاً، ثم استمرت الدكتوراة في الأسئلة، واستمرت الطالبة الكويتية

في الإجابات الصحيحة التي تكن مجرد محاولات، ومنذ ذلك الوقت والطلاب كلهم يحترمون هذه الطالبة الفذة...!! لماذا؟ لأنها تميزت على الجميع بعلمها، وبما لديها من معرفة..

الذي أريد أن أصل إليه هو أنك أيها المبتعث إن كنت متميزاً فستحظى باحترام الناس كلهم بغض النظر عن اختلاف ثقافتهم.. أما إن كنت من جماعة (ادرس، وانجح ثم عد لبلدك) فلن يأبه بك الآخرون..

خذ هذا المثال أيضاً..

أخ مصري تفوق على جميع طلاب الجامعة في إحدى جامعات أستراليا، فكتبت الجامعة اسمه على لوحة تذكارية مع مجموعة من المتفوقين الذين لم يمر على تاريخ الجامعة مثلهم..

ولك أن تتأمل أيضاً في تميّز بعض علماء العرب الكبار، وعلماء مصر تحديداً، الذين فرضوا احترامهم على العالم كله الشرقي منه والغربي، اقرأ سيرة أحمد زويل، أو فاروق الباز أو غيرهما، وهم كثير.. عندها ستعلم أن الإنسان المتميز يبقى متميزاً، ومما لا شك فيه أن الابتعاث يعتبر بوابة كبيرة جداً ومفتوحة على مصراعيها لأي تميز تنشده..

أختم بهذه اللفظات السريعة التي تقوّي الذكاء الثقافي وتقودك للتميز - بإذن الله تعالى -:

١. اخلق في نفسك حب الاستطلاع في أي مكان تذهب إليه، ولكن بأدب ورفق.

٢. تحل بروح مرحة وخفيفة، وعندها سيقبلك الناس..

٣. ابتسم كثيرًا؛ لأن كل الناس سيفهمون ابتسامتك ثم يتقبلونك.

٤. تحل بالثقة؛ ولا تظهر بمظهر الضعيف مهزوز المبادئ.

٥. حقق الألفة مع من هو أمامك باستخدام نفس اللغة التي يقولها ونفس اللهجة إن أمكن، وابحث عن مفاتيح شخصيته من خلال حديثك معه.

٦. انتبه للغة البدن.

٧. كن عفويًا.

٨. لا تقاطع محدثك. <

٩. اعرّف ما يحبه الناس وما يكرهونه. <

١٠. حاول أن تتعلم في مرحلة الابتعاث أكثر مما تُعلِّم. <

ختاماً أقول:

كل ما سبق -أخي المبتعث، أختي المبتعثة- من الحديث والتفصيل في موضوع الذكاء الثقافي إنما هو وسيلة من وسائل تحقيق التميز والتفوق لدى المبتعثين، والذي سيعود نفعه -بإذن الله تعالى- على المبتعث نفسه، ثم على وطنه وبلده بلد الحرمين.. بلد الإنسانية.. المملكة العربية السعودية.. فلتتواصى على ذلك، ولنرفع الجهل عن أنفسنا، ولنبحر في بحار العلم والمعرفة، قاصدين بذلك رد المعروف لبلد الفضل والخير مملكتنا الحبيبة حتى نغنيها عن الشرق والغرب -بإذن الله تعالى-، وليس ذلك فقط، بل لنعقد العزم صادقين مع أنفسنا وقبل ذلك صادقين مع الله تعالى على أن نصدر المعرفة إلى الشرق والغرب، حتى تبقى المملكة العربية السعودية شامة في عصر العلم، وعلمًا مرفرفًا في سماء الحضارة.

أهم المراجع حول الذكاء الثقافي:

(كتب ومقالات علمية وصحفية)

- Ang, S., Van Dyne, L., Koh, C., Ng, K.Y., Templar, K.J., Tay, C. et al. (2007) 'Cultural Intelligence: Its Measurement and Effects on Cultural Judgement and Decision Making, Cultural Adaptation and Task Performance', Management and Organization Review 3(03): 71 – 335.
- Earley, P.C. (2002) 'Redefining Interactions across Cultures and Organizations: Moving Forward with Cultural Intelligence', Research in Organizational behaviour 24: 271–99.
- Earley, P.C. and Ang, S. (2003) Cultural Intelligence: Individual Interactions across Cultures. Stanford, CA: Stanford University Press.
- Earley, P.C. and Mosakowski, E. (2004) 'Cultural Intelligence', Harvard Business Review 82(10): 139–46.
- Grove, C., 1995, Culture Shock. Part of Everyone's Relocation, available at: <http://www.grovewell.com/pub-culture-shock.html>
- Hall, ET 1959, The silent language, vol. 3, Doubleday New York.
- Peterson, B 2004, Cultural intelligence: A guide to working with people from other cultures, Intercultural Pr.
- Storti, C 2007, The art of crossing cultures,

Intercultural Press.

- Thomas, D.C., Elron, E., Stahl, G., Ekelund, B.Z., Elizabeth, C.R., Cerdin, J.L., Poelmans, S., Brislin, B., Pekerti, A., Aycan, Z., Maznevski, M., Au, K. And Mila B. Lazarova, B.M., (2008) Cultural Intelligence: Domain and Assessment. Cultural Management International Journal of Cross, 8 (2) pp 123–143.
- Thomas, DC & Inkson, K 2004, Cultural intelligence: People skills for global business, Berrett-Koehler Publishers.
- Thomas, D., & Inkson, K. (2005). Cultural intelligence: People skills for a global workplace. Consulting to. Management, 16(1), 59-
- Thissen, J. 2005, 'A passage to Australasia: About developing cultural intelligence', Culture Resource Centre Monthly Newsletter, vol. 5 February.
- Trompenaars, A & Hampden-Turner, C 1998, Riding the waves of culture: Understanding cultural diversity in global business, McGraw Hill.

وهذا موقع مفيد في كثير من قضايا الذكاء الثقافي:

www.culturalq.com

للتواصل مع المؤلف:



namlah11@gmail.com



@YousefAlnamlah



Yousef Alnamlah

المبتعث السعودي

والذكاء الثقافي



يقلم المبتعث يوسف بن إبراهيم النملة
طالب الدكتوراه في إدارة الموارد البشرية
جامعة مسطوري - أستراليا

هنا خمس وقفات مهمة سيتعلم المبتعث منها. بإذن الله تعالى. أهم الفروق الثقافية بين الشرق والغرب والتي بدورها قد تؤثر على مسيرته التحصيلية.. كل ذلك استناداً إلى أهم النظريات العلمية في هذا المجال مع ربطها بواقع المبتعثين.

جميع حقوق النشر محفوظة



9 786030 099047

ردمك: ٧-٤٩٩٠٠٠٠-١٠٣-٩٧٨